مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدَة

مَلِيكَة قَايِدْ

1957 - 1933

مَنْشُورَات المَتْحَف الوَطَنِي لِلمُجَاهِد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009
ر . د . م . ك : 978-9961-884-25-6
الإيداع القانوني : 2009-5844

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

البريد الإلكتروني : **Email: mnm@museenat-moudjahid.dz**

الشهيدة

مليكة قايد

1957 - 1933

كَانَتْ نَسِيمَةُ وَاحِدَةً مِنْ بَيْنِ التِّلْمِيذَاتِ النَّجِيبَاتِ فِي المَدْرَسَةِ، وَكَانَتْ تُحِبُّ بِالخُصُوصِ مَعْرِفَةَ سِيَرِ الشُّهَدَاءِ وَبُطُولاَتِ المُجَاهِدِينَ.

قَصَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى إِحْدَى زَمِيلاَتِهَا القِصَّةَ الآتِيَةَ :

أَصَابَتْنِي فِي إِحْدَى اللَّيَالِي حُمَّى شَدِيدَةٌ، اضْطَرَّتْ جَدَّتِي إِلَى السَّهَرِ بِجَانِبِي. وَعِنْدَمَا خَفَّتِ الحُمَّى عَلَيَّ قَلِيلاً، قَالَتْ جَدَّتِي :

عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرَةً فِي مِثْلِ سِنِّكِ أَصَابَتْنِي مَرَّةً حُمَّى شَدِيدَةٌ، فَأَخَذَتْنِي أُمِّي إِلَى مُمَرِّضَةٍ تُسَمَّى "مَلِيكَةَ قَايِدْ" لِتُعَالِجَنِي.

نَسِيمَةُ : مَنْ هِيَ مَلِيكَةُ قَايِدْ يَاجَدَّتِي؟

الجَدَّةُ : كَانَتْ مَلِيكَةُ مُمَرِّضَةً فِي صُفُوفِ جَيْشِ التَّحْرِيرِ الوَطَنِيِّ. وَهِيَ مَوْلُودَةٌ فِي 24 جوان 1933 بِالجَزَائِرِ العَاصِمَةِ، جَاءَتْ إِلَى قَرْيَتِنَا فِي أَوَاخِرِ سنة 1956.

نَسِيمَةُ: أَحْكِ لِي قِصَّتَهَا يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّةُ: مَلِيكَة أَعَزُّ صَدِيقَةٍ لِي، قَضَيْنَا مَعًا أَحْلَى الأَوْقَاتِ وَأَمْتَعَ السَّاعَاتِ عِنْدَمَا كُنَّا صَغِيرَتَيْنِ مِثْلَكِ.

وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ غَلَبَنِي النُّعَاسُ، نِمْتُ وَرَأَيْتُ حُلُمًا جَمِيلاً.

رَأَيْتُ أَنِّي كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ جَدَّتِي، فِي قَرْيَةٍ لاَ أَعْرِفُهَا مِنْ قَبْلُ، وَأَثْنَاءَ السَّيْرِ فِي

مَسَالِكِهَا التُّرَابِيَّةِ، قُلْتُ لَهَا:

إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّةُ : أَلاَ تُرِيدِينَ الشِّفَاءَ مِنَ الحُمّى؟

قُلْتُ: بَلَى.

لَمَّا اقْتَرَبْنَا مِنْ مَنْزِلٍ، بَدَأَتْ جَدَّتِي تُنَادِي:

مَلِيكَةُ .. مَلِيكَةُ ..!

قُلْتُ لِجَدَّتِي:

مَنْ تَكُونُ مَلِيكَةُ؟ أَنَا لاَ أَعْرِفُهَا!

قَالَتْ: سَتَعْرِفِينَهَا يَا عَزِيزَتِي، هِيَ مَلاَكٌ جَمِيلٌ، سَتَجِدِينَ الشِّفَاءَ -إِنْ شَاءَ اللّهُ- عَلَى يَدَيْهَا مِنْ هَذِهِ الحُمَّى .

فَجْأَةً رَأَيْتُ جَدَّتِي تَبْتَسِمُ، وَهِيَ وَاقِفَةٌ إِلَى

جَانبِ فَتَاةٍ جَميلَةٍ، كَانَتْ تَرْتَدي فُسْتَانًا أَبْيَضَ، وَفي يَدِهَا الْيُسْرَى حَقيبَةٌ صَغيرَةٌ. تَحَدَّثَتَا مَعَ بَعْضِهِمَا ... ضَحِكَتَا كَثيراً؛ تَمَنَّيْتُ لَوْ سَمِعْتُ كُلَّ الحِوَارِ الذِي دَارَ بَيْنَهُمَا! بِالتَّأكِيدِ كَانَ حِوَاراً شَيِّقًا.

ثُمَّ قَالَتْ لَهَا جَدَّتِي:

حَفِيدَتِي مُصَابَةٌ بِالْحُمَّى، يَا صَدِيقَتِي العَزِيزَةَ.

مَلِيكَةُ: تَقَدَّمِي يَا بُنَيَّتِي، لاَ تَخَافِي، مَا اسْمُكِ؟

قُلْتُ لَهَا: اسْمِي نَسِيمَةُ.

حِينَئِذٍ أَخْرَجَتْ مِنْ حَقِيبَتِهَا حُقْنَةً؛ فَصَرَخْتُ:

لاَ أُرِيدُ حُقْنَةً، لَقَدْ شُفِيتُ الْآنَ، أُرِيدُ فَقَطْ

أنْ أرَاكِ عَنْ قُرْبٍ؛ أحِبُّكِ يَا خَالَتِي مَلِيكَةُ.

كَانَتْ مَلِيكَةُ تَضْحَكُ، بَيْنَمَا كَانَتْ جَدَّتِي تَحَثُّهَا لِتَقُولَ لِي شَيْئًا.

مَدَّتْ يَدَهَا النَّاعِمَةَ إِلَى يَدِي، ثُمَّ أَمَرَتْ أَنْ نَمْشِيَ مَعًا فِي تِلْكَ الأَزِقَّةِ، أَخَذَتْنِي إِلَى مَكَانٍ لاَ أَعْرِفُهُ؛ كُنْتُ أَسِيرُ إِلَى جَانِبِهَا وَأَنَا أَشْعُرُ بِالطُّمَأْنِينَةِ، وكُنْتُ أَقُولُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِي، كَمْ هِيَ رَائِعَةٌ هَذِهِ الفَتَاةُ!

سَأَلَتْنِي:

هَلْ تَدْرُسِينَ يَا نَسِيمَةُ؟

أَجَبْتُ بِكُلِّ ثِقَةٍ:

نَعَمْ، أَنَا أَدْرُسُ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ الابْتِدَائِيَّةِ، وَفِي نِهَايَةِ السَّنَةِ سَأَجْتَازُ

الاِمْتِحَانَ لأَنْتَقِلَ إِلىَ السَّنَةِ الأولَى الْمُتَوَسِّطَةِ.

قَالَتْ: بِالتَّوْفِيقِ، وَأَرْدَفَتْ بِالقَوْلِ:

أَتَدْرُسُونَ فِي المَدْرَسَةِ مَادَّةَ التَّارِيخِ؟

قُلْتُ لَهَا:

أَجَلْ.

فَقَالَتْ:

مَتَى انْدَلَعَتْ ثَوْرَةُ التَّحْرِيرِ؟

سَكَتُّ بُرْهَةً، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا بِكُلِّ ثِقَةٍ وَاعْتِزَازٍ:

أَعْرِفُ أَنَّ انْدِلاَعَ ثَوْرَةِ التَّحْرِيرِ كَانَ فِي أَوَّلِ نُوفَمْبَرَ 1954م، وَذَلِكَ بَعْدَمَا يَئِسَ الجَزَائِرِيُّونَ مِنْ عَدَمِ تَرَاجُعِ الاِسْتِعْمَارِ عَنْ

ظُلْمِهِ وَتَسَلُّطِهِ.

قَالَتْ: أَحْسَنْتِ، يَا بُنَيَّتِي الصَّغِيرَةَ! مَعْلُومَاتُكِ صَحِيحَةٌ؛ هَذِهِ الثَّوْرَةُ العَظِيمَةُ شَارَكَ فِيهَا الجَمِيعُ؛ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ، لَقَدْ عَمَّتْ كُلَّ المَنَاطِقِ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ فِي المُدُنِ وَالأَرْيَافِ، فِي الجِبَالِ وَالصَّحْرَاءِ؛ الكُلُّ سَاهَمَ بِمَا كَانَ يَسْتَطِيعُ.

فِي مِثْلِ سِنِّكِ، كُنْتُ أَتَعَلَّمُ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، كُنْتُ طَمُوحَةً كَغَيْرِي مِنَ البَنَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَحْلُمْنَ بِمُسْتَقْبَلٍ تَسُودُ فِيهِ الطُّمَأْنِينَةُ وَالسَّلَامُ؛ كُنَّا نَحْلُمُ بِجَزَائِرَ حُرَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ.

عِنْدَمَا كُنْتُ فِي مِثْلِ سِنِّكِ كُنْتُ أَسْأَلُ أَخِي الأَكْبَرَ مِنِّي سِنّا، الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ مُعَلِّمًا:

لِمَاذَا نَتَعَلَّمُ لُغَةً لَيْسَتْ لُغَتَنَا ؟ لماذا جَاءَ الْفَرَنْسِيُّونَ إِلَى بَلَدنَا ؟ لِمَاذَا اغْتَصَبُوا أَرْضَنَا ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى خَيْرَاتِهَا ؟

فَيُجِيبُنِي بِابْتِسَامَتِهِ قَائِلاً :

لَقَدْ قُدِّرَ عَلَى الجَزَائِرِ أَنْ تَعِيشَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ المَرِيرَةَ ، وَلَكِنْ ذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لِي:

لاَ تَحْزَنِي يَا أُخْتِي ، سَنَنْتَصِرُ عَلَى أَعْدَائِنَا عَاجِلاً أَمْ آجِلاً .

كَمَا تَعَلَّمْتُ مِنْ وَالِدِي فِكْرَةً جَمِيلَةً وَعَمِيقَةً لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا ؛ إِذْ قَالَ لِي يَوْمًا :

الاسْتِعْمَارُ يَا ابْنَتِي كَكُرَةِ الثَّلْجِ ، مَهْمَا كَبُرَتْ سَتَذُوبُ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ!

قُلْتُ: مَا مَعْنَى ذَلِكَ يَا أَبِي؟

أجَابَنِي:

الجَزَائِرُ سَتَسْتَقِلُّ بِكُمْ، وَفَرَنْسَا سَتَنْهَزِمُ حَتْمًا وَتُغَادِرُ البَلَدَ، وَسَتَبْقَى الجَزَائِرُ بَيْنَ أيْدِي أهْلِهَا.

آه، يَا نَسِيمَةُ، كَمْ كَانَتْ مَنَاظِرُ الجَزَائِرِ قَبِيحَةً بِأولَئِكَ المُسْتَعْمِرِينَ الَّذِينَ كُنَّا نَرَاهُمْ فِي الحُقُولِ، وَفِي الشَّوَارِعِ، وَالحِقْدُ يَطْفَحُ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالكَرَاهِيَّةُ تَمْلأ قُلُوبَهُمْ. كُنَّا حَيْثُمَا وَلَّيْنَا وُجُوهَنَا نَرَاهُمْ؛ فِي المَقَاهِي وَالأسْوَاقِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ.

فِي مِثْلِ سِنِّك اكْتَشَفْتُ عُدْوَانِيَّةَ الاسْتِعْمَارِ وَظُلْمَهُ؛ لِذَلِكَ تَوَجَّهْتُ إلَى التَّسَلُّحِ بِالعِلْمِ؛ لأنَّهُ أدَاةٌ مِنْ أدَوَاتِ الْمُقَاوَمَةِ ضِدَّ قُوَى

الطُّغْيَانِ وَالِاسْتِبْدَادِ.

سَأَلْتُهَا:

كَيْفَ اكْتَشَفْتِ ذَلِكَ؟

قَالَتْ مَلِيكَةُ:

كُنْتُ أَدْرُسُ فِي مَدِينَةِ سطيف مَعَ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الجَزَائِرِيِّينَ وَالجَزَائِرِيَّات، وكُنَّا نَتَفَوَّقُ فِي الدِّرَاسَةِ دَائِمًا، كُنْتُ أَحْلُمُ بِالنَّجَاحِ لِأُسَاعِدَ أَبْنَاءَ بَلَدِي، لَكِنِّي صُدِمْتُ فِي الثَّامِنِ مَايْ 1945 بِمَا وَقَعَ مِنْ مَجَازِرَ مُرِيعَةٍ ضِدَّ الشَّعْبِ الجَزَائِرِيِّ ويَوْمَئِذٍ تَأَكَّدْتُ مِنْ جُنُونِ الفَرَنْسِيِّينَ وَحِقْدِهِمْ عَلَيْنَا.

صَمَتَتْ مَلِيكَةُ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ قَالَتْ:

آ، تَذَكَّرْتُ مَا قَالَتْهُ مُعَلِّمَتِي ذَاتَ يَوْمٍ،

وَهِيَ تَشْرَحُ لَنَا أَسْبَابَ المَجَازِرِ وَنَتَائِجَهَا:

إِنَّ سُقُوطَ العَدَدِ الكَبِيرِ مِنَ الضَّحَايَا دَلِيلٌ عَلَى طُغْيَانِ المُسْتَعْمِرِ وَدَلِيلٌ آخَرُ عَلَى حُبِّ الشَّعْبِ الجَزَائِرِي للحُرِّيَّةِ.

ثُمَّ وَاصَلَتْ مَلِيكَةُ حَدِيثَهَا قَائِلَةً:

كُنَّا لاَ نَخَافُ المَوْتَ نَتِيجَةَ حُبِّنَا لِلْوَطَنِ. وَفِي الثَّامِنِ مَاي 1945 خَرَجْنَا إِلَى الشَّوَارِعِ لِنُذَكِّرَ فَرَنْسَا بِمَا وَعَدَتْ بِهِ.

أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لِلْعَالَمِ فِي تِلْكَ المُظَاهَرَاتِ إِنَّ الشَّعْبَ الجَزَائِرِي تَعِبَ مِنَ الاسْتِغْلاَلِ، وَالحِرْمَانِ وَمِنَ الفَقْرِ الَّذِي سَلَّطَتْهُ فَرَنْسَا عَلَيْهِ، لَكِنَّ السُّلُطَاتِ الفَرَنْسِيَّةَ أَرَادَتْ غَيْرَ ذَلِكَ، كَأَنَّهَا كَانَتْ تُرِيدُ تَغْيِيرَ اتِّجَاهِ حَرَكَةِ

التَّاريخِ بِقُوَّةٍ.

بَدأَت المُظَاهَرَاتُ السِّلْمِيَّةُ، ولَبَّى الشَّعْبُ الجَزَائِريُّ النِّدَاءَ التَّاريخيَّ. لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ مَا يَنْتَظِرُنَا، سَقَطَ الشَّهيدُ بُوزيدْ سعّال برَصَاصِ الشُّرْطَةِ المُتَعَطِّشَةِ للدَّمِ، وَسُرْعَانَ مَا عَمَّتِ المَجَازِرُ الكَثيرَ منَ المُدُنِ الجَزَائِريَّةِ مثْلَ: سَطيف، خَرَّاطَةَ، قَالمة ... كَانَ الضَّحَايَا منَ المَدَنِيِّينَ العُزَّلِ بِعَشَرَاتِ الآلاَف.

مَجَازِرُ الثَّامنِ مَاي جَعَلَتْنَا نُفَكِّرُ فِي مُسْتَقْبَلِنَا بِشَكْلٍ آخَرَ، وَجَعَلَتْنَا نَعِي مَاذَا يَجِبُ أنْ نَفْعَلَ.

دَرَسْتُ مِهْنَةَ التَّمْرِيضِ بِحُبٍّ كَبِيرٍ، كَأنَّ القَدَرَ كَانَ يُحَضِّرُنِي لِمَهَامٍ جِسَامٍ؛ لِمَا هُوَ

أجْمَلُ وَأعْظَمُ، كُلَّمَا قَرُبَتْ سَاعَةُ الحَسْمِ ازْدَدْتُ حُبًّا لِمِهْنَتِي وَلِبَلَدِي.

الْتَحَقْتُ بِالْعَمَلِ فِي مُسْتَشْفَى بِمَدِينَةِ خَرَّاطَة. كَانَتْ تَحَرُّكَاتُ أخِي مُولُود السِّرِّيَّةَ وَقَلَقُهُ الدَّائِمُ تُوحِيَانِ لِي بِأَنَّ أَشْيَاءً سَتَحْدُثُ فِي القَرِيبِ العَاجِلِ. لَسْتُ أدْرِي لِمَاذَا كُنْتُ أَتَرَقَّبُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الحَاسِمَةَ؟ بَلْ كُنْتُ أحْلُمُ بِأَنَّنِي فِي جَبَلٍ مَا، فِي مَكَانٍ مَا، جُنْدِيَّةٌ فِي سَبِيلِ تَحْرِيرِ بَلَدِي مِنَ الْمُسْتَعْمِرِ، كُنْتُ أَنْتَظِرُ اللَّحْظَةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا أخِي مُولُود: إِنَّ يَوْمَ الحَسْمِ قَدْ حَانَ، مُنْذُ أكْثَرَ مِنْ عَامَيْنِ وَأَنَا أَتَرَقَّبُ الحَدَثَ الْمُهِمَّ فِي حَيَاتِنَا.

وَجَاءَتْ لَيْلَةُ أوَّلِ نُوفَمْبَرَ 1954 الغَرَّاءُ الَّتِي عِشْتُهَا بِكُلِّ جَوَارِحِي، كُنْتُ فِي أعْمَاقِي

أَشْعُرُ أَنَّ ثَمَّةَ حَدَثًا مَا سَيَحْدُثُ. أَذْكُرُ تَمَامًا أَنِّي حَلَمْتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِأَشْيَاءٍ جَمِيلَةٍ، لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا. وَفِي الصَّبِيحَةِ أَكَّدَ لِي أَخِي انْدِلاَعَ الثَّوْرَةِ، كَمْ كُنْتُ فَخُورَةً بِقِرَاءَتِي أَخْبَارَ الثَّوْرَةِ! وَالبَيَانَ الَّذِي وُزِّعَ فِي أَعْقَابِهَا!

وَهَبْتُ نَفْسِي لِلجَزَائِرِ الَّتِي أُحِبُّهَا وَأَضَحِّي مِنْ أَجْلِهَا.

مُنْذُ البِدَايَةِ، آمَنْتُ بِالنَّصْرِ، كَمَا آمَنَ بِهِ أَغْلَبُ الجَزَائِرِيِّينَ.

وَجَّهْتُ اهْتِمَامِي إِلَى الاتِّصَالِ بِمَنْ أَصْبَحُوا مَسْؤُولِينَ عَنِ الثَّوْرَةِ، كَانَ اتِّصَالِي بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَخِي مُولُود. فِي البِدَايَةِ، اقْتَصَرَ عَمَلِي دَاخِلَ الْمُسْتَشْفَى عَلَى تَقْدِيمِ مُسَاعَدَاتٍ

بَسيطَةٍ، تَتَمَثَّلُ فِي الأدْوِيَة اللاَّزِمَة. فَأحْيَانًا أعَالِجُ الجَرْحَى خُفْيَةً، وَأحْيَانًا أخْرَى أتَنَقَّلُ إلَى الجَبَلِ، لتَقْييمِ الوَضْعِ الصِّحِّي للْمُصَابينَ، منْ جُنُود جَيْشِ التَّحْرِير. كَمَا كُنْتُ أقُومُ بِبَعْضِ العَمَليَّات المُسْتَعْجَلَة.

قَاطَعْتُ حَديثَهَا بِهَذَا السُّؤَال:

كَيْفَ كُنْتِ تَتَحَرَّكينَ بِهَذه السُّهُولَة وَجُنُودُ الاحْتلاَل فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ قَرَأْنَا فِي المَدْرَسَة أنَّهُمْ كَانُوا يُعَذِّبُونَ كُلَّ مَنْ يُقَدِّمُ يَدَ المُسَاعَدَة للثُّوَّار؟

- هَذَا صَحيحٌ، بَلْ كَانُوا يَعْتَقلُونَهُمْ لمُجَرَّد أدْنَى شَكٍّ، وَلَكنَّ جَيْشَ التَّحْرِير أخَذَ كُلَّ احْتيَاطَاته لمُوَاجَهَة خُطَط الاسْتعْمَار، لَمْ يَكُنْ عَمَلُنَا الثَّوْرِيُّ بِالأمْرِ السَّهْلِ. كُنَّا نَعْلَمُ

أنَّ لِلْفَرَنْسِيِّينَ عُيُونًا لاَ تَنَامُ، كُلَّمَا كَانَتْ مُرَاقَبَتُهُمْ شَدِيدَةً، ازْدَادَ جُنُودُ جَيْشِ التَّحْرِيرِ يَقَظَةً وَاسْتِعْدَادًا، إِيمَانُنَا بِالاسْتِقْلاَلِ، كَانَ أَكْبَرَ مِنْ خُطَطِهِمْ وَجَيْشِهِمْ.

لِذَلِكَ كَانَتْ تَحَرُّكَاتُنَا مَحْسُوبَةً، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَطَاعَ البُولِيسُ الفَرَنْسِيُّ أَنْ يَكْتَشِفَ دَوْرِي فِي الثَّوْرَةِ، فَذَاتَ يَوْمٍ وَصَلَنِي اسْتِدْعَاءٌ مِنْ مَرْكَزِ البُولِيسِ الفَرَنْسِي يَطْلُبُ مِنِّي الالْتِحَاقَ بِالمَرْكَزِ، لأَمْرٍ يَهُمُّنِي. قَرَأْتُ الاسْتِدْعَاءَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، فَهِمْتُ أَنَّ الشُّرْطَةَ تُرِيدُ إِلْقَاءَ القَبْضَ عَلَيَّ.

حَرَّرْتُ رِسَالَةً إِلَى الشُّرْطَةِ الفَرَنْسِيَّةِ، قُلْتُ لَهُمْ فِيهَا:

نَعَمْ أَنَا هُنَا حَاضِرَةٌ، وَمُسْتَعِدَّةٌ لِتَلْبِيَةِ

دَعْوَتِكُمْ بِكُلِّ فَرَحٍ وَسُرُورٍ ،لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَبْعَثُوا لِي طَائِرَةَ "هِيلِيكُوبْتَر" لِتَنْقُلَنِي جَوّاً إِلَيْكُمْ.

أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ رِسَالَتِي مَلِيئَةً بِالسُّخْرِيَّةِ.

الْتَحَقْتُ بِرِفَاقِي فِي الجَبَلِ، وَتَعَرَّفْتُ عَلَى بَعْضِ قَادَةِ الثَّوْرَةِ؛ أَغْلَبُهُمْ كَانُوا شُبَّانًا فِي مُقْتَبَلِ العُمُرِ، يُقْبِلُونَ عَلَى الاسْتِشْهَادِ بِفَرَحٍ كَبِيرٍ، كُنَّا نَعْمَلُ لَيْلاً وَنَهَاراً لِتَحْقِيقِ الهَدَفِ الأَسْمَى.

عِشْنَا أَيَّامًا صَعْبَةً، لَكِنْ حَقَّقْنَا انْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً، عَرَفْنَا الجُوعَ كَثِيراً، وَلَكِنْ ضَحِكْنَا أَحْيَانًا، لأَنَّ أَحْلاَمَنَا كَانَتْ كَبِيرَةً ...

أَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى بَيْتٍ جَمِيلٍ لاَ يَزَالُ

صَامِداً فِي وَجْهِ الظُّرُوفِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَالعَلَمُ الوَطَنِيُّ يُرَفْرِفُ فَوْقَهُ، وَصُورَةٌ جَمِيلَةٌ تَتَوَسَّطُ لاَفِتَةً كَبِيرَةً وُضِعَتْ فَوْقَ مَدْخَلِهِ .

قُلْتُ لَهَا :

تَبْدُو أَنَّهَا صُورَتُكِ؟

قَالَتْ:

أَجَلْ، فِي هَذَا المَكَانِ كُنْتُ أَقُومُ بِأَدَاءِ وَاجِبِي كَمُمَرِّضَةٍ؛ أَسْتَقْبِلُ مِئَاتِ الجَرْحَى، أُخَفِّفُ مِنْ آلاَمِهِمْ، وَأَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ ...

لاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا المَكَانَ يُذَكِّرُكُمْ بِمَدَى تَضْحِيَاتِنَا.

سَقَطْتُ شَهِيدَةً فِي مَعْرَكَةٍ كَبِيرَةٍ يَوْمَ 28 جوان عَامَ 1957 بِجِبَالِ جُرْجُرَةَ إِلَى جَانِبِ

عَدَدٍ مِنْ رُفَقَائِي، لَكِنْ مَازِلْتُ حَيَّةً فِي نُفُوسِ مَنْ أَحَبُّونِي وكُلِّ مَنْ أَحَبَّ الجَزَائِرَ.

قُلْتُ لَهَا:

أعِدُكِ بِكِتَابَةِ قِصَّتِكِ .تَوَارَتْ مَلِيكَةُ عَنْ نَظَرِي.

اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي، وَأَنَا سَعِيدَةٌ، قَائِلَةً: أَيْنَ أَنْتِ يَا خَالَتِي مَلِيكَة؟

سَمِعَتْنِي أُمِّي، فَقَالَتْ:

مَا بِكِ يَا نَسِيمَةُ ؟ مَنْ تَكُونُ مَلِيكَةُ؟

اتَّجَهْتُ إِلَى مَكْتَبِي الصَّغِيرِ، ثُمَّ شَرَعْتُ فِي كِتَابَةِ القِصَّةِ الَّتِي عِشْتُهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْحُلْمِ الجَمِيلِ، قَبْلَ أَنْ أَنْسَى تَفَاصِيلَهَا لأَقْرَأَهَا أَمَامَ زُمَلَائِي وَ زَمِيلَاتِي فِي القِسْمِ.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار